عبد الوهاب البياتي

بستان عائشة

دار الشروق

بستان عائشة

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

إلى زوجتي العزيزة هند :

لم أعرف سوى حبك على هذه الأرض

فحبيني من جديد .

فبحبك يكبر الطفل / الشاعر الذي هو أنا

عبدالوهاب البياتي

مدريد ٢ – ١١ – ١٩٨٨

مرثية إلى خليل حاوى

(١)

حين انتظر الشاعرْ
ماتت عائشةٌ فى المنفى
نجمةَ صُبحٍ صارتْ :
لارا وخزامى / هنداً وصفاءْ
ومليكةَ كل الملكاتْ
تمثالاً كنعانياً

نار حريقٍ فى أبراج البترولِ
وفى أبيات « نشيد الانشادْ »
ودماً فوق سطور « التوراة »
وجباهِ لصوص الثوراتْ .
صارت نيلاً وفرات
ونذورَ الفقراء
فوق جبال الأطلس ،
قافية فى شعر أبي تمّامْ .
صارتْ بيروتَ ويافا ،
جرحاً عربياً فى مدن الابداع
منذوراً للحبِ
ومسكوناً بالنار .
صارت عشتار

(٢)

حين ارتحل الشاعرْ
رسمت خارطةَ الأشياء خُطاهْ

(٣)

حين انتحر الشاعرْ
بدأت رحلته الكبرى واشتعلت فى البحر رؤاهْ
وحين اخترقت صيحتُهُ ملكوتَ المنفى
طفق الشعبُ القادمُ من صحراء الحبِ
يُحطم آلهةَ الطينِ
ويبنى مملكة اللّهْ

٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٨٣

من أوراق عائشة

قالتْ : سأَقتلُهُ

وأحمل رأسه لقبيلتى

صنماً ، لتعبدَهُ

وتحرقهُ ، إذا اقتتلتْ

وفى الصحراء أبنى معبداً للحبِ

يحمل إسمَهُ

تأوى إليه الطير، فى زمن المجاعةِ
أَرتدى الأسمالَ
أعقر ناقتى
فى باب معبده أنوحْ .
قالتْ : سأَحملُهُ
إذا مرتْ عصورٌ
خاتماً فى أصبعى
وأنوح فى جوف الضريحْ

٢٣ - ١١ - ١٩٨٧

النـــاى

النای یبکی : إنها الغاباتُ ، تبحث ، سیدی ،
عن قُوتها فی باطن الأرض العمیقْ .
النای یبکی : إنها ریحُ الخریفْ .
النای یبکی : إنها الأبراج داهمها الحریقْ
النای : إنسانٌ یُقاومُ موته
موتَ الطبیعةِ والفصولْ

مدن الخوف

مدنٌ تعيشُ على الإشاعات / الأكاذيب / الأقاويل / الخواءْ
وعلى دم الإنسان والحق المُضاعْ
وتنام فى خوفٍ على باب الطواغيت الصغارْ
وبعضْهِا / المذياع / تفتح ما تشاءْ

الحلزون

رجلٌ تسلّحَ بالنبوءةِ واللهيبْ
أسرى بنار الرافِضين
ومات فى المنفى وحيدْ
كلماته اخترقت جدار الصمتِ
ذوّبت الجليدْ
فَلِمنْ ؟ وماذا سوف تكتبُ عنهُ ؟
يا حلزون ذاكرة المغنى والشهيدْ

اليـنابيـع

سأموتُ حباً تحت خيمتِها
أعود إلى الطفولةِ
راعياً غنمَ القبيلةِ
مثلَ هرون الرشيدْ
ملكاً وسلطاناً
على أسراب مملكة القطا
وقبائل الأمطار فى كل الفصولْ
ذهبى : ينابيعُ الحياةِ
وثروتى : قلقُ الوجودْ

ورقـة أخـرى

قالتْ : سأشنقهُ

بِليلِ ضفائرى

مهما أَطَلْتُ الانتظارْ

وأَعيدهُ حجراً على درب القوافلِ

سدرةً / شِيحاً وقيصوماً

وزهرةَ جلنارْ

قالت : سأغرس رمحَهُ المسمومَ

فى عينيهِ

حتى لا يرى ضوءَ النهارْ .

وبكتْ وطال بها الوقوفُ على الطلول الباليات

واستنجدتْ بالساحرات

لتعيدَهُ حيّاً ،

ولكن الرياح السافيات

عفّت على آثار أقدام الطريدِ

وأدرك الليل النهار

٢٣ - ١١ - ١٩٨٧

نــار الشعر

(١)

قالتْ : « ستموتُ غداً ، مسموماً فى المنفى
أو مذبوحاً فى سكين صديقٍ أو مُخبر سلطانْ »
قال مخنثُ بابلَ : « أنت الآنْ
مأسورٌ ، باسم الشعراء الخِصيان »
لكنى ، كنتُ أموت غريقاً
فى النور القادم ، من أبعد نجمٍ ، محترقاً
فى نار الشعر الزرقاء
أشحذ أسلحتى ، وأُداعبُ فى موتى ، القيثار

(٢)

كان يموتُ ببطءٍ ويناضل ضد الحُلم المأجورْ
كان شهيد النور .
كان يقاتل فى يافا / البصرة / بيروتْ
وعلى بوابةِ «كردستانَ» وشط العرب المسحور يموتْ

(٣)

كان يشاهد أشباهَ رجالٍ ومخانيثَ وراء مكاتبهم يزنونْ .
كان الوطن العربى القابع تحت الأنقاض يشاهدهم
فى عين المأخوذْ
يحصون القتلى من خلف مكاتبهم
يرنونْ
بعيون لصوص الديجور

(٤)

كان الشعب العربي يشاهد من تحت الأنقاضِ
نهايةَ عصر شهود الزورْ

(٥)

كان شهيدَ الوطن الصاعد من قاع الابداع غريقاً فى النورْ

مدريد ٧ ـ ١٢ ـ ١٩٨٣

الملاك والشيطان

معجزةُ الحب الخالد « لارا »
تنهض من تحت رماد الأسطورة ، عنقاءْ
تتألق نجماً قطبياً
وتهاجر مثل الأنهارْ
تتقمص فى ألواح الطينِ
وفى أختام ملوك « الوركاء »
صورةَ عشتارْ

تصبح معشوقاً أزلياً فى لاهوت العشاقْ
إحدى الربات
تتجلى فى صور شتى
فى أوراق البردىِّ وفى المنحوتاتْ
تُغرى بعبادتها الشعراءْ
فإذا ما عبدوها
صاروا فى الحب لها عُبدانْ .
أَغوتنى
وأنا فى المهد صبىٌّ
لكنى أصبحتُ عليها سلطانْ .
كانت فى الحب ملاكاً
وأنا كنتُ الشيطان

١٩٨٦

نـهر الـمـجـرة

فى نهر مجرة هذا الكون الشعرىِّ
المسكون بروح الأسلافْ
كنا مثل فراخٍ لم تنبتْ ، بعدُ ، قوادمُها
نسبح ضد التيار

ونحاولُ ليلَ نهارْ
أنْ نصطاد الثور الأسطوريَّ
لنذبحه قرباناً لإله الشعر المتجلى
فى غبش الأسحار
كنا نتحدى
أزمنةً شاختْ وعصوراً تنهارْ
بصواعقَ من نار.
كنا أطفالاً
لكنّا فى الحب كبارْ

١٩٨٦

النقــاد الأدعيــاء

جرذانُ حقولِ الكلماتْ

دفنوا رأسَ الشاعر فى حقل رمادْ

لكنّ الشاعرَ فوق صليب المنفىٰ

حمل الشمسَ وطارْ

نيسان ١٩٨٦

مترو باريس

أشباحٌ عددَ الرملْ
أنهكها المعنى واللا معنى فى حمى البحثْ
ودوارُ الرفضْ
بعضٌ منها ينزل أو يصعد من جوف الأرضْ
أملاً فى البعث ،

منها : مَنْ يبكى / يترنح / يضحكْ
يعوى مثل الذئبِ
ويُخفى بجريدته وجهاً متعبْ
وَيُوَدِّعُ ضوءَ نهارٍ يرحلْ
يستبدل ذاكرة الأمس بأخرى
ويخاطب إنساناً مجهولاً فى الغيهبْ .
مَنْ يهذى / يتصور جوعاً / يتأبطْ
كتباً لم تُقرأْ .
من يعزف لحناً / يشحذْ
يُلقى شعراً ويحلق فى المطلقْ
مَنْ يرجو شيئاً لا يتحققْ .
وتظل الأشباح الأرضيةُ تنزل أو تصعدْ
فى النفق الأسودْ

١٩٨٦

الولادة في مدن لم تُولَدْ

أُولدُ فى مدن لم تُولَدْ
لكنّى فى ليل خريف المدن العربيةِ
ـ مكسورَ القلب ـ أموتْ
أدفن فى غرناطةَ حبى
وأقولْ :
« لا غالبَ إلا الحبُ »
وأحرق شعرى وأموتْ
وعلى أرصفة المنفى
أنهضُ من بعد الموت
لأُولد فى مدن لم تُولَدْ وأموتْ

١٩٨٦

المُغني الأعمى

مطرٌ يتساقط فوق مساجد طهرانْ
مطر ونعاسْ
وسحابةُ خوفٍ تجتاح الناسْ
لكنّ مغنى الموتِ الأعمى
كان يغني للموتى العميانْ

١٩٨٦

راقصة الدخان

راقصةٌ من بحر الصينْ
ترقص فى صندوقٍ خزفىٍ
تُغمضُ عينيها
تبكى
ممسكةً فى يدها عصفورْ
ترفعهُ قرباناً للنورْ
تقطف فى يدها الأخرى زهرةَ نورٍ
تخفيها فى قاع الصندوق .
تسقط مثل النجمةِ فى بحر الصينْ
تتلاشى مثل دخانٍ فى الريحْ

١٩٨٤

الشهيد

يتوهج فى نور المشكاةْ
متحداً فى ذات الله
لايفنى / مثل شعوب الأرضْ
يتحدى فى ثورته الموتْ

١٩٨٤

عن كتب التاريخ

عاهرةٌ كتبُ التاريخْ
تَدفنُ تحت الأنقاض : الشهداءَ القديسينَ
وتُبقي أسماءَ شهود الزورْ

١٩٨٤

إلى خورخى لويس بورخيس

أعمىً ، لكنكَ تُبصر فى عين الكلماتْ
تتقرى باللمس المرآة
ورفوفَ الكتب الغرقى بالنورِ
ونارَ اللوحاتْ .
تُبصر ـ ما خلف البابْ
ووراء قناع الأسطورةْ ـ
: مدناً تحت الشمس تموتْ

فرساً فى غابة عبّاد الشمس جموحْ
نهراً ينبع من جبلٍ مسحورْ
بدوياً يصطاد غزالةْ
كانت جاريةً فى قصر الواثق باللهْ .
كانت نافورةْ
فى أزمانٍ أُخرى ، فى قصر الحمراء .
أعمىً لكنك تُبصْر
وجهى الآخر تحت قناع الموتْ
وضياعى فى ملكوت المنفىٰ :
مَنْ منا الأعمى
فى سجن الحريةْ ؟
يبكى تحت الأسوار الحجريةْ ؟
ويموت وحيداً فى الغربةْ
محكوماً بشروط اللعبةْ

١٩٨٤

مجنون أشبيلية

تحت الجيرالدا
أجمل إنسان فى الأرض يموتْ
تحت الجيرالدا
آخر حبٍ فى الأرض يموتْ
تحت الجيرالدا
أصرخ مجنوناً وأَموتْ

١٩٨٤

إلى بثينة اليكساندرة

فى بهو الليل الأسبانى ، فتاةٌ نائمةٌ
يحرسها ثعبانٌ
وعلى قدميها يجثو عبدٌ
ينفخ فى ناى ذهبىٍ
يبكى عشاقاً ماتوا فى أوج صباهم
ويقول بصوتٍ دامعْ
للجسد الهاجع :
كُونى ربةَ شعرى فى آخر خطوةْ
أُخطوها حول المذبحْ
فالعالم مسرحْ
والشاعر فى خاتمة الفصل ضحيةْ
ينهشه حفار القبر / النقاد اللؤماء

١٩٨٤

عن كتب التاريخ ، أيضاً

كاذبةٌ كتبُ التاريخْ
ما كان الإسكندر تلميذاً لأرسطو
ما كان سوى جلاّدْ
يغزو من أجل الغزوِ
ليُشفى علته
بدماء جنود الفقراءْ

١٩٨٤

عملية تجميل

يتمنى أن يصبح من جنسٍ آخرْ
أو ذيلاً
ولساناً للآخرْ
لكنّ الحلاقَ الباريسيَّ بخيلٌ
فى قص شعور قصائدهِ
أو وضع الرأس مكان الرأس الآخرْ

١٩٨٤

إلى نجيب محفوظ

ثرثرةٌ فوق النيلْ؟
أم وجعُ القلب الإنسانيِّ المخذولْ؟
وهزيمة جيل؟
أم نار أطفأها فى العوّامةِ
أمر يحتمل التأويلْ؟

١٩٨٤

بغداد

مهما طال حوارُ الأبعادْ
فستبقى بغداد
شمساً تتوهجْ
نبعاً يتجددْ
ناراً أزليةْ
رؤيا كونية
لطفولة شاعرْ

١٩٨٤

الـولادة

الابداعُ هو الحبْ
والحبُ هو الموتْ
والابداع / الحب / الموت : ولادةْ
فلماذا مات ، إذن ، نيرودا / حكمتْ ؟
ولماذا آخر وردةْ
فى شرفة بيتى احترقتْ ؟
ولماذا نجمةُ حبى أَفَلَتْ ؟

١٩٨٤

إلى يلماز غونيه

رجل وامرأة وقطار فى ليل الأناضولْ
تحت الضوء ، تقول المرأة فى خوفٍ : « ما هذا الليل ؟ »
مدن وقرى وذئاب تعوىِ جائعة ، تحت الثلجْ
ودخان الأنفاق الملتويةْ
وسعال الأطفال .
ليل ينذر بالزلزال

قال الرجل النائم فى همسٍ : « الليل هو الليل ! »
رجل آخر فى أقصى العربة
يكتب تحت الضوء المخنوق رسالة
ويردد أغنية شاعت بعد الحرب الكونية فى البلقانْ
تتحدث عن حب غامضْ
ونبيٍ شاعرْ
فُتِن الناسُ بهِ / رجلٌ يغتاب صديقاً ويقول :
« هذى الدنيا خائنة ولعوب
تركب ظهر حمار بالمقلوب »
المرأة تبكى فى خوف ، الرجل الأول يزجرها
ويقول لها : « ما هذا ؟
الفجر وشيكٌ والغاباتُ تتنفسُ فى عمقٍ
والأرض تعانى أوجاعَ مخاض »

١٩٨٤

بستان عائشة

بستانُ عائشةٍ على « الخابورِ »
كانَ مدينةً مسحورةً
عربُ الشمالْ
يتطلعون إلى قلاع حصونها
ويواصلون البحث عن أبوابها

ويقدمون ضحيةً للنهر فى فصل الربيع
لعل أبواب المدينةِ
تستجيب لَهُمْ
فَتُفْتَحُ / كلما داروا
اختفى البستانُ
واختفت الحصونْ .
فإذا خبا نجمُ الصباحْ
عادوا إلى « حلبٍ » لينتظروا
ويبكوا ألف عام
فلعلهم فى رحلة أخرى إلى « الخابور »
يفتتحونها
ولعلهم لا يُفلحون

فالموت عرّافُ المدينةِ
هادمُ اللذاتِ
يعرف وحدهُ
أين اختفى بستان عائشةٍ
وفى أى العصور

٢٦ ـ ١٢ ـ ١٩٨٧
٢ ـ ١ ـ ١٩٨٨

اللقـالق

تحط الرحالَ بأعلى الكنائسِ
أعلى المساجدِ
فوق القبابْ
تُجَمِّعُ عيدان أعشاشها
من هنا أو هناكْ
تبيض / تُفَرِّخُ / تفرد فى الريح أجنحةً
لتزق الفراخ .
فإن ضوأت نجمةُ القطب فوق المدينةِ
ذارفةً نورها فى العراء
نما ريشها
واستطالت قوادمُها فى الهواءْ
تطير اللقالق عائدةً
لبلاد الضباب
مخلفةً صرخة فى أعالى السماء

القفص

لِتَكُن المقلاع والحجرْ
لتكن الإنسان فى ِ صراعه الدامى مع القدر
لتكن المبدع والنار وصوت الريح والبشر
فأنت سيد الينابيعِ
وأنت سيد المطر
لكنك ، الآن ، حبيسٌ
تنقر القضبان فى القفصْ

المكتشفـون

يتوجع العشاق فى صحراء وحدتهمْ
يجوبون المساءات الكئيبةَ
حاملين جحيمهم
متوحدينَ / مُهَشمينْ
لبثوا / بفعل تواصل الأزمانِ
فى ملكوتهم / لا يكبرون

شابت نواصى الأرضِ
دبّ الموتُ فى الغاباتِ
فانقرضت
وهم يتفتحون ويُزهرون ويُثمرونْ
وبسحرهم قهروا التعاسةَ
واصلوا الابداعَ
فى صحراء وحدتهم
وكانوا / ما يكونْ

تركوا على أسوار هذا الكونِ
بعض رموزهم
وَهُمُ إلى أرض الكواكب يرحلونْ

صورة جانبية لعائشة

تُخفي وراء قناعها وجهَ الملاكْ
وملامحَ الأُنثى
التي نضجت على نار القصائدِ
أيقظت شهواتِها ريحُ الشمال

فتجوهرتْ تفاحةً / خمراً
رغيفاً ساخناً
فى معبد الحب المقدّسِ
أدمنت طيب العناقْ
ظهرت بأحلامىِ ، فقلت : فراشةٌ
رفتّ بصيف طفولتى
قبل الأوانْ
وتقمصت كل الوجوهِ
وسافرت / بدمى تنام .
قديسةٌ تنسل فى جوف الظلام
لتعانق الصنم المُحَطمَ
تنشب الأظفار فى الحجر / الحطامْ

ياقوتةٌ / فَمُها / تشع طريةً /
نارُ الحقول /
ضفائرٌ معقودةٌ /
عينان تضطرمان من فرط الحنان
وجه وراء قناعه ، يُخفى « مدائن صالحٍ »
وحدائق الليمون فى أعلى الفرات
أمضيتُ صيف طفولتى
فيها ، وأدركنى الشتاء
وحملت فى منفاىَّ بعد رحيلها
ذهبَ القصائد والرماد

١٩٨٧ - ١٩٨٨

التجلي المُقدس

للوطن المدهوش فى زوبعة الأوراقْ
للوطن المسكون بالعشاق
للوطن الضارب بالجذور فى الأعماق
لشاعر تحوم حول وجهه المُضاء
فراشةٌ بيضاء
لكتب الأسفار
والليل والنهار
تطلَّعَ الحلاج
مفترشاً « دجلةَ » فى الخريف والقباب والأبراج
وخبأَ الرأس الذى أُحرق بعد الصلب فى الأمواج

١٩٨٣ ـ ١٩٨٤

الشــاعر

أَشْعَلَ فى أصفاده النارَ ،
وقال لسجون الأرض أن تنهارْ
باح بسر حبه الفاجع للأمطار
وعندما استشهد فى هياكل النور وفى المعراج
أُودع فى قصيدةٍ رمادُهُ
صار ضريحاً غامضاً يُزار

المهرج

تقطعت أنفاسه فى أول الشوط وفى نهاية المضمار
خاف من الصعود والهبوط فى دوائر الأصفار
وعندما خرّ على الأرض صريحاً
مدّ لليل يداً
وانهال بالأخرى على طفولة النهار
بسوطه ، وانهار

الخائنة

كانت ، على منوالها ، ثلاثة تخونْ :
حبيبها ونفسها وبعلها المسكين
وعندما تحدج فى مرآتها
ترى على صفحتها خائنةَ العيونْ

مدريد فى عيد الميلاد

فى ساحة الأربعة الملوكْ
مرّ المسيحُ عابراً
بغصن زيتونٍ ووجهٍ شاحب منحوت
من حجر الياقوت
وكانَ فى الساحة صعلوك على أكتافه
عباءة من ورق الخريف
وطفلة تشرب ، فى جانبه ، الكحول
وتنفث الدخان فى وجه مغول الريحْ

الوجـه

وجهك فى المرآة : وجهانِ
فلا تكذبْ
فإنْ اللّهْ
يراك فى المرآةْ

ســور الصــين

تكسرت نصالهم فوق جدار سره الدفين
قالوا : انتهى !
وحفروا قبراً له
وسملوا عينيه بالسكينْ
لكنه ، كان على صليبهِ مُعَلَّقاً
تضيئهُ البروق فى ليل المنا فى مثل سور الصين .

إلى أوكتافيو باث

قلتُ لشمس الله أن تُشرق فى الميعاد
قلت لها : شردّنى فى هذه الديار :
الله والقيثار
لكنها غابت
ولم تشرق على منازل الشاعر فى الميعاد

الولايـة

أَنشب فى لحم الليالى مخلباً ونابْ
حجَّ إلى مدينة العشق
وفى حاناتها
أفرط فى الشراب
وعندما بايعه الخمّار بالولايةْ
أَحسّ بالنهاية

امـرأة

تعود كل ليلةٍ من قبرها النائى
إلى مدائن الصفيح
تمارس الحب مع الشيطان فى بيوتها
تصهل مثل فرس فى الريح
وكلما أدركها النعاس فى تجوالها
عادت إلى الضريحْ

البصرة

(١)

كانت ، كعادة ، أهلها البسطاء
تجترح البطولة والفداء
تستقطر التاريخ معجزةً
وشارات انتصار

وبوجهها العربى

فى كل العصور

ـ مدينة الشعراء والعلماء ـ

قاومت الغزاة

وبأكرم الشجر النخيل

وشطها

كانت إلى الشهداء فى معراجهم

زاد المعاد :

الشعر سر شبابها

وبطولة البشر / البناة

(٢)

خصلات شعرك فى مرايا البحرِ :

نافذة وعصفور يطيرُ

ووردتان

وأنا المسافر فى الزمان وفى المكانِ
وفى منافى الأبجدية والعروض
لغتى بضوئك أورقت
صارت قناديل المحبةِ
أزهرتْ
صارت منازل للقلوب
صار الزمان حديقةً
والبحر مرآة الحديقة والزمان

(٣)

كانت بلادى ترتدى ثوب الربيع
أوقفت راحلتى
وقلتُ : بكم تبيعْ
سلطانتى
هذا الضياء الأزرق الوردىّ
هذا الثوبَ
هذا الياسمينْ

قالت : « بكل قصائد الشعراء »
ضاحكةً
« ولكن ، لن أبيع ! »

١٩٨٧

الرجل المجهول

رجل من بين غبار السنواتْ
طرق الباب
حيّانى ، قلت له : « أهلاً ! »
لكن الرجل المجهول ، قبالة ، بابى ، مات

١٩٨٥

باب الشـيخ

حبٌ من « باب الشيخ » ورائى
يمتد كخيطٍ مسحورْ
أُمسكهُ ، فأرى بيتاً يغرق بالنور
أتطلع نحو الباب المغلقِ
فى عينىْ طفل مبهور
أتوقف عند السور
أصرخ ، لكن الخيط المسحور
يصبح جرحاً فى قلبى
ورماد بخور

١٩٨٥

الطـاووس

مدنٌ بالطاعون تموت وأخرى يضربها الزلزالْ
ومجاعات وحروب فى كل مكان ودمار
وحضارات وعصور تنهار
لكنّ الطاووس ، بلا خجلٍ ، يُظهر عورته للناسْ

١٩٨٥

إلى يشار كمال

مخترقاً جدران الغرف الصماء
ولغات شعوب القارات
مصهوراً بالنار
والألم الخلّاق
يتحدى الرمم الصلعاء
وصغار الكتاب
أشعل باسم الإنسان المُفعم موتاً
ثورةَ إبداعٍ في الابداع

١٩٨٥

طفولة شاعر

عائشةٌ بنت السلطان
كانت من أعلى نافذة فى قصر السلطان
ترنو لخيول السلطان
وعبيد السلطان
كانت ترشقنى ـ وأنا أبكى
تحت النافذة العليا
مكسورَ القلب ـ بوردةْ
لكنّى أتجاهلها ،
وأقول لنفسى
وأنا أبكى فى حرقةْ :
ماذا لو أسرجت حصانى وغزوتُ البلدةْ

١٩٨٥

القصيدة

يتجول فى نومى رجلُ النورْ
يتوقف فى الركن المهجور
يُخرج من ذاكرتى ، كلماتٍ
يكتبها
ويُعيد كتابتها فى صوت مسموعْ

يمحو بعض سطور
ينظر فى مرآة البيت الغارق بالظلمة والنور
يتذكر شيئاً
فيغادر نومى
أستيقظ مذعوراً
وأحاول أن أتذكر شيئاً
مما قال ومما هو مكتوب
عبثاً ، فالنور
مسح الأوراق وذاكرتى
ببياض الفجر المقتول

١٩٨٥

المغـول

كان المغول على ظهور الصافناتِ ـ
دُمىً يُحرك واهيات خيوطها
عصر يموتُ
غريزةُ التاريخِ
تحت سماء موت الآخرينَ ـ

عيونهم خرزٌ ملونةٌ
بأعناق السهوبِ :
مجاعةٌ / برق / بكاء الأرضِ
قبل مخاضها الدامى
وجوهٌ تقرأ الأفق المُغشى بالحرائقِ :
إنها حُمى الولادةِ
إنه الطاعونُ
حاصر « قندهارَ »
وحاصر المدنَ التى ذُكرتْ
بأسفار اليهودِ
وشقّ أرحام السبايا
سمّم الأنهارَ
حطم سقف هذا الكون

داس بخيله جثثَ الملوكِ
أماط عن وجه الطبيعةِ سرها المكنون
عرىّ نطفة العدم الذى يسرى بشريان
الوجود / أعاد خلط الماء والأوراق
والنار / الضحايا والغزاة : عجينةً عمياء
تبحث فى المرايا
عن وجوه القادمين من السهوبِ
ليحرثوا بسيوفهم
عطشَ الحياة وجوعَها

....

وعلى رماد حرائق المدنِ
التى نزفت دماً
هُزِمَ المغولْ

١٩٨٨

رجــل وامــرأة

يسقط الثلج على مدخنة البيتِ
وفى بهو المرايا
امرأة منتظرةْ
رجل فى دمها ، يحرث ، مأخوذاً
حقولَ الجسد المزدهرة
رجل يُولد من أضلاعها
يسكن فيها
يختفى فى الذاكرة
نابضاً فى قطرات دمها المفترسةْ
صاعداً كالشجرةْ
فى خلاياها وفى أوصالها المرتجفة
رجل عانقها
فاشتعلت فى دمها ، نارُ الفصول الأربعةْ

١٩٨٨

الحصـــار

إلى خليل حاوى فى ذكراه

محجوزةٌ : كل منافى الأرض والسجونْ
أقبية التعذيب والجنون
أقنعة المهرجينَ
وقنانى الخمر والسمومْ
مطاعم المدينة / الملاعق / الصحون
قصائد التفعيلة / العمود
محاكم التفتيش
تذاكر المسارح / الملاجئ / القبور
كينونة الحب / قباب النور
أضرحة الملوك

عواصم الخيانة / اللاهوت
فأين يمضى شاعرٌ
نجا من الموتِ
لكى يموتْ

١٩٨٨

الطِّلَسْم

أحرقنى برقُ العشقِ ، صغيراً
أحرقنى الصمتُ / الطلسم / السحرُ
الأسودُ فى قاع مدينتنا / مصباح علاء الدين
أنين الأشجار المقتولةِ فى السردابْ

صيحاتُ الجنىِّ المحبوس / نداءُ الباعة فى الأسواقْ
موت الأطفال / العشاق / هديلُ حمام الأبراجْ
صرخات الصوفى المأخوذ بذكر الله
صلوات الأسحار
قصص الجدات
لحمُ الحيوان المذبوح يعلقهُ القصابُ / عيون
القطط السوداء
أخبار الحلاج / عويل النسوة فى باب السجنِ /
نعوش الأموات
ليل الإرهاب الملكى الأسود / عقم السنواتْ
كتب النحو الصفراء

أحرقني البؤس / الضوء / التجوالْ
بحذاء مثقوب تحت الأمطار
أيام الأعياد
أنوار مآذن بغداد
باب الشيخ / نذور الفقراء .
أحرقني برق العشق ،
صغيراً كنتُ
وكانتْ
فبماذا تأمرني ، سيدتي ، الآنْ

١٩٨٨

وردة الثلج

وردةُ الثلج ، هنا ، ترقدُ
هل أحببتها يوماً ؟
لماذا لا تجيب ؟
بكتْ العرّافةُ العمياءُ
لمّا قرعت شاهدة القبر
فلم ينهض من القبر سوى هذا الصليب

ورماد الورق الأسود والأحمر
يطّاير فى ريح المغيب
أى حب هو هذا ؟
عندما يكتشف الشاعرُ فى منفاهُ
سرَّ الآلهة
نيزكاً يسقط فى البحرِ
عواءَ الرغبة المشتعلةْ
قارةً غامضةً تظهرُ ، ليلاً ،
فى بياض الورقة
غابة / قافية محترقةْ
نجمة مؤتلقةْ
عندما يصبح هذا النصُ مفتوحاً
وهذا القرع فى شاهدة القبر
حضوراً فى الوجود
تنهض الوردةُ من تابوتها
حاملة نار جنون العشق
نار الملكوتْ

١٩٨٨

صورة جانبيـة لمدينة ما

مقبرةٌ تعلوها مقبرة ، بينهما
الحب / الموت / البشر الأحياء
والشحاذون وأهل اليُسر البخلاء
فإذا ما صحتَ بأعلى صوتكَ
عاد الصوت مليئاً بلهاث الموتى
وسعال شتاء السنوات
وإذا ما حاولتَ فراراً
طاردك الباعةُ والعيّارون الشطّار
فى تلك المقبرة الكبرى
فى تلك الطاحونةِ
فى تلك الصحراءْ
نُحرتْ آلهة الشعرِ
ومات الشاعر فى حانوت الخمّـار

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

سر النار

فى آخر يوم ، قبَّلْتُ يديها
عينيها / شفتيها
قلتُ لها : أنت ، الآنْ ،
ناضجةٌ مثل التفاحة
نصفك : إمرأةٌ
والنصف الآخر ليس له وصفٌ

فالكلمات

تهرب مني

وأنا أهرب منها

وكلانا ينهار

لطفولة هذا الوجه القمحي

وهذا الجسد المشتعل الريان

أبتهلُ الآن

وأقرّب وجهي

من هذا النبع الدافق ، ظمآنْ .

في آخر يوم ، قلتْ لها :

أنتِ حريقُ الغاباتِ

وماءُ النهرِ

وسرُّ النارْ

نصفك ليس له وصفٌ

والنصف الآخر : كاهنة في معبد عشتارْ

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

مملكة الشاعر

مملكة الشاعر حاصرها الأعداء
دهموا بوابتها
ذبحوا ، بسيوف الغدر ، الحراس
نصبوا مشنقةً فى ساحتها
وأقاموا الأعراس
شقوا صدر الشاعر
لم يجدوا فى داخله
إلا مقبرةً ، كان الثلج يغطيها
وأسامى معبودات مُسحتْ
وأُزيلتْ
من فوق قبور جرفتها ، الأمطار
وقصائد حب جعلوها بعد الأعراسِ
طعاماً للنار
حكموا بالنفى على الشاعر بعد الموتِ
أقاموا حول المنفى ، الأسوار

الـدرع

وطني درعٌ فولاذيٌّ
يحمي غُرَّةَ بغداد
كعبة حب يحرسها الله
كل غزاة التاريخ انهزموا
في بوابتها
صاروا في ذاكرة التاريخ رماد
يتبارى في قوس الشمس ، دفاعاً
عنها الأسلاف / الأحفاد

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

إلى أسماء البياتي

ترسُمُ وجهَ ملاكٍ لم يُولَدْ بَعْدْ
قديساً يتعبد
بدوياً ، بربابته ، يبكي هنداً أو دَعدْ
تفجيرياً نووياً
حرب عصاباتٍ
إضراباً بالقوة يُمنعْ

وجهَ المتنبي المتعب
يتحدى فلوات المطلق
فى نظرات لا تُقهر.
ترسم مذبحة فى مصنع
أسداً يزأر
عصياناً فى سجن يُقمع
ملكاً من حجر البركان يصليِ للنار
نهاراً يرحل
خيط دخان يتلوى
رؤيا إنسان يتـمرد
ترسم قصر الحمراء بلون الشفق الدامى
والأسود والأبيض

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

حديث الحجر

حجرٌ، قال لآخرْ:
لم أسعد بوجودى فى هذا السور العارى
فمكانى هو قصر السلطان
قال الآخر: ياهذا
محكوم بالموت عليكَ
سواء كنت هنا أم فى قصر السلطان
فغداً يُهدم هذا القصرُ
وهذا السورُ
بأمرٍ من حاشية السلطان
ليعيدوا اللعبة من أولها
ويعيدوا توزيع الأدوار

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

بكائية إلى صلاح جاهين

كانت أعواماً جاحدةً

فى ليل شتاء العرب القاسى

كانت أعواماً جوفاء

فيها مُسِحتْ ذاكرةُ الإنسانِ

ومات الشعراءْ

وامْتُهن الفكرُ

وديست أحلام الفقراء

فيها سُمِّمَت الآبار
وطفت جيف الكتاب المأجورينَ
وصاروا وعاظاً فى الصحف الصفراء .
فيها انهزم الثوار
صاروا أيتاماً ورعايا
فى زمن البترول / الشيطان .
فى ليل شتاء العرب القاسى هذا
كان صلاح
يذوى فى صمتٍ ويموت ببطءٍ
ويجرجر أذيال الغربةِ
فى دائرة الضوءِ
ويُخفى خيبته فى ضحكة طفلٍ
فاجأه موتُ النورِ
وبرد السنواتْ
فبكى مثل الرجل / الطفل المخذول ومات

٢٧ – ٥ – ١٩٨٦

الدينونة

سوق الوراقين

(١)

صورة كانت لطاووس مخنثْ
تتحدث
عن زمان داعر، أصبح فيه الحبُ سلعةْ
وبضاعة
فى الحوانيت تُباع
ولها فى السوق دلال ونخاس وشاعرْ
ولها فى العالم الغارق بالحرمان والبؤس مواسمْ
تُشترى فيها، تُباع
لجموع البؤساء
صوراً للعاريات
مثلما فى العالم السفلى من أحياء / روما الفقراء
صور العرى على أرصفة الليل، تُباع

(٢)

قيل لى : من أنت ، قلت : النار فى هذى المنازل
وأنا الحب المقاتل
وغد اليأس المناضل
فى خيانات القبائل
وشهيد ، كان مقتولاً وقاتل

بائع الحب

(٣)

بائع الحب يرى الشعر بيوتاً للبغاء
وأكاذيب دخان فى الهواء
ورجالاً فى عباءات نساء
ونساء فى سراويل رجال
ومخانيث على أرصفة التاريخ ، صاروا شعراء

الشهــداء

(٤)

شهداء الكلمةْ

سكنوا عصر الطواغيت وباحوا بعذاب الكلمةْ

وبسر الكلمة

حملوا أكفانهم واحترقوا بالكلمة

عند شطآن العصور المظلمة

راكب الموجة

(٥)

يأخذ الطاووس فى المرآة شكل امرأة منطفئةْ
وخريف امرأة محترفة
ليخون الكلمات
ومعانى الكلمات .
كان فى عصر الخيانات وفى أزمنة الحرف الغراب
شاعراً من ورق ينسل من شق كتاب
ليخون الشعراء
كاشفاً عن ذيله فى زحمة السوقِ
ليركبْ
موجة الشعر ويغرق

٦ - ١ -

بانـوراما « أصيـلة »

إلى رافع الناصرى

(١)

أوراق خريفٍ تجرفها موسيقى الريحِ
وطيف الألوان
تتوهج فوق الجدران البيض وفى اللوحاتْ
حانات الشعراء
وطيور الماء .
يغسل ملحُ البحر جراحى
أتعرّى من أقنعتى
أُولد تحت الفرشاة
رسماً فوق جدار

أصرخ لكن الألوان تحاصرنى
ورذاذ البحر المهذار
أُغمض عينى
فأرى أجنحة تنبت لى
وأرى أفقاً من نارْ
وحدائق من ذهب رُسمت بالحبر الصينىِّ
تحيط بها موسيقى الماء
وفراشات تتقدم تحت قناع نساء
من كل عصور الابداع
أغمض عينى ، فأراها تتقدم نحوى
حاملة قربان البحر وطيف الألوان
تتوهج فوق الجدران البيض وفى اللوحات
وردةُ حب حمراء

العـاشـق

(٢)

يروى « بن عيسى » العاشقْ
وولى « أصيلة »
إن الله تعالى
خلق الدنيا فى ستة أيام
فى اليوم الأول
خلق النار / الأرض / الإنسان
فى اليوم الثانى والثالث
خلق الموسيقى
فى اليوم الرابع
خلق الشعر / الفن / وأعطى الفنان
فى اليوم الخامس : قوس الألوان
فى اليوم السادس
لبست ثوب العرس « أصيلةْ »

نار من داغستان

(٣)

راقصة من أرض السحر الأسود جاءت
تُشعل ناراً
فى أرض السحر المشهود
شفتاها عسل ونبيذ .

قالت للساقي المأخوذ :

زدني عسلاً ونبيذاً ، فالليل يطول .

قالت عيناها للنور

زدني نوراً ، فأنا جائعة للنور

قالت للعُود :

زدني حباً ، فالحب وجودي

وبدون الحب أموت

قالت : سأقول

لكنّي ، لا أدري ، ماذا سأقول ؟

فالريشة فوق العود

وكلانا / مفقودْ

ناظم حكمت ، كان هناك

(٤)

ناظم حكمتْ
لم يسعد فى حلب ، فطفولتُه
فيها كانت عسلاً
لكن النحل أتى بغد الخمسين

ناظم حكمت

لم يسعد فى أى مكانٍ ، فهو الآنَ ،
وحيد منفى تحت سماء بلاد أخرى
فى قبرٍ يغمره ثلج عصور التكوين
وكما فى الرؤيا ...
كان معى ، يتأمل وجهاً وقناعاً
لفتاة فى العشرين
طارت كالنحلة واحترقت
فى نار خريف البشر الفانين
أتذكرهُ وهو يقول ، بحزن الرائين
سلطانة حبى
صُبى الخمر لضيفٍ ، لم يسعدْ
فى حلب أو برلين

الموت فى الشعر

(٥)

سرنا نحو البحر ، نُودّعُ شمس نهارٍ
غاصت فى الموج ، فقالت :
الشعر حرام كالخمرة
لكنى فى الشعر أموت
من هى « لارا » هل هى « عائشة »
أم هى هذا الأفق الموصود
قلت : هى الحب الضائع والزمن المفقود
وإذا شئت مزيداً
فهلمى فى البحر نغوص

إلى محمود الراشد

(٦)

يتأبط نجماً وغزالاً « محمود الراشد »
ويغنى لطيور مرّت من فوق « أصيلةْ »
كانت فى الليل تهاجرْ
نحو الأصقاع الدافئة المسحورة
آخرها فى القطب
وأولها فى مدن الأسطورة
ويغنى لطفولة
ضاعت فى المنفى
ومقاهى « باريسَ » المجهولة
ولأمٍ فى « حلب » لم يبق لديها إلا الصورة

الهجرة من الذات

(٧)

بدأ استشهادى
بعد اليوم الثالث من خلق الدنيا
سكنتنى الموسيقى
داهمنى ليل هيولى
اشتعلت روحى شوقاً للعود الأزلى
فصرتُ ، أدور وحيداً فى فلك الايقاع

متحداً فى موسيقى الكون ونبض القلب الملتاع
وحين عبرت الخط الأحمر للدنيا
لمعت فى عتمة نفسى شارات ضياء
وحوار مابين الأحياء الموتى
والموتى الأحياء
سكنت روحى فى الكلمات
نهراً قدسّه رمزٌ كونىٌ
صار الوجه الآخر للدنيا
صار الاشراقْ
ظهر الوجه الخالد للحب
انتصر الأبداع
قامت مدن / بشروط الفن / يكافح فيها
الشعراء
من أجل خلاص الإنسان
....
....

بدأ استشهادى وخلاصى

حين عبرت الخط الأحمر للدنيا

مخترقاً كينونة حبى الصماء

أصيلة / مدريد
٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٥

هامش

(١) قصيدة (نار الشعر) مهداة إلى الأستاذ بيدرو مارتينث مونتابث

(٢) القصائد : التجلى المقدس / الشاعر / المهرج / الخائنة / مدريد فى عيد الميلاد
الوجه / سور الصين / إلى أوكتافيو باث / الولاية / امرأة
مهداة إلى الأستاذ خلدون الشمعة .

(٣) قصيدة (نهر المجرة) مهداة إلى الأستاذ فيدريكو آربوس

محتويات الكتاب

الديـنـونـة

بانوراما أصيـلة

رقم الإيداع ١٩٨٩/٢٢٢٠
الترقيم الدولى ٤ ـ ٣٠٦ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

حينَ انتظرَ الشاعرْ

ماتت عائشةُ في المنفى

نجمةَ صبحٍ صارتْ :

لارا وخزامى / صفراءَ وحمراءْ

ومليكةَ كلّ الملكاتْ

تمثالاً كنعانياً

ناراً حريةٍ في أبراجِ البترولْ

وفي أبياتِ "نشيدِ الإنشادْ"

ودماً فوقَ سطورِ "التوراة"

وجباهاً لعروضِ القرآنْ

صارتْ نيلاً وفراتْ